

كتاب تاريخ بيروت

(تابع لما قبل)

وَيُسْتَدَلُّ عَلَى قَدَمِ بِيْرْتٍ مِنْ قَدَمِ صِيْدَاءَ وَصَوْرٍ لِمَجَارِدَتِهَا لَهَا. وَيَقَالُ أَنَّ صِيْدَاءَ رَابِعَ مَدِيْنَةٍ عُمِّرَتْ بَعْدَ (٤٧) الطَّوْرَانَ (١). وَذَكَرَ يَاقُوْتُ الْحَمَوِيُّ فِي كِتَابِ تَجْمِيعِ الْبُلْدَانَ (٢) قَالَ: قَالَ هِشَامُ عَنْ أَبِيهِ: إِنَّمَا سَمِيَتْ صِيْدَاءَ بِاسْمِ صِيْدُونَ بْنِ صَدْقَاءَ بْنِ كَثْمَانَ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ (٣). وَصِيْدَاءُ وَصَوْرٌ مَذْكُورَتَانِ فِي التُّرَاةِ. وَصَوْرٌ بِفَرْدِهَا مَذْكُورَةٌ فِي الْإِنْجِيلِ (٤). وَوَجِدْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ سَلْيَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَزَوَّجَ بِنْتِ صَاحِبِ صِيْدَاءَ وَأَنَّ بِصِيْدَاءَ صَيْدَ الْحَوْتِ الَّذِي ابْتَلَعَ خَاتَمَهُ فَسَمِيَتْ صِيْدَاءَ (٥). قَالَ الْمَلِكُ الْمُرَيْدُ صَاحِبَ حِمَاةٍ (٥) فِي كِتَابِ تَقْوِيمِ الْبُلْدَانَ (٦): أَنَّ صَوْرَ أَقْدَمَ بَلَدٍ بِالسَّاحِلِ رِغَايَةَ حِكْمَاءِ الْيُونَانَ مِنْهَا (٧). قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ مَنَاهِجِ التَّنْكِيرِ: كَانَ فِي صِيْدَاءَ هَيْكَلٌ لِمُطَارِدٍ وَفِي صَوْرٍ هَيْكَلٌ لِلتَّرْتِجِ وَكَانَتِ الصَّابِنَةُ تَعْظِمُهُمَا. وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ أَصْحَابِ التَّوَارِيخِ الْقَدِيمَةِ أَنَّ سَاحِلَ الشَّامِ خُرِبَ فِي عَهْدِ بَنِي نَصْرٍ (٨). وَعُمِّرَ فِي دَوْلَةِ الْفَرَسِ. وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ خُرُوجَ بَنِي نَصْرٍ عَلَى الشَّامِ فِي دَوْلَةِ لَهْرَاسَفَ أَحَدِ الْكَلِمَةِ بِنَارِسَ رِذْلِكَ بَعْدَ وِفَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَعْمَانَ وَتِسْعِينَ سَنَةً وَقَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ (صَلَّمَ) بِالْفَنِينِ وَمَائَتَيْنِ وَتِسْعِينَ سَنَةً فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَحْتَ طَاعَتِهِ بِغَيْرِ قِتَالٍ. وَبَعْدَ تَوَجُّهِهِ عَنْهُمْ غَدَرُوا بِهٖ فَرَجَعَ

(١) قد ترجح الآن مند علماء التاريخ أن بيروت اندم من صيدا. (Baron d'Eckstein Journ. Asiat. 1859, II, 419)

(٢) في المجلد الثالث الصفحة ٤٣٩ (ed. Wustensfeld)

(٣) والصواب أن لكلا المدينتين ذكراً في التوراة والإنجيل نماً (راجع مثلاً مرقس ٧: ٢٤)

(٤) قصة خاتم سليمان من الإفاصيص التي لا يبدأ بها ذور الاستناد والبصرة. أما اسم صيدا فالأرجح أنه أخذ من الصيد لأنها كانت مقاماً للصيادين وهي مشهورة بسكها إلى اليوم

(٥) هو السلطان أبو الفداء المتوفى سنة ٧٢٢ هـ (١٣٣١ م)

(٦) في الصفحة ٢٤٢ (ed. Reinaud)

(٧) ويروى في النسخة المطبوعة: وعمامة حكما اليونان منها. وفي هذا الكلام غلو ظاهر

(٨) يريد نبوكدنصر الثاني وهو الذي غزا سورية وفلسطين ودثر مدغصا. وحاصر صور

حتى اقتحمها عنوة في آخر القرن السابع قبل المسيح

اليوم وبادهم واخرّب القدس (١٠١) وقصد صور فوجه اهلها امتعتهم في البحر ففترت السفن وحاصر صور فاخذها وقتل حيرام صاحبها وخرّبها وخرّب بعض مدن الساحل (١٠٢) وتوجه الى مصر وبلاد المغرب. وبقي بيت المقدس خراباً سبعين سنة الى ان تلك اردشير هم احد الاكاسرة واسمه بالعبرانية كورش (١٠٢) فامر بعارة القدس ومدن فلسطين وغيرها من مدن السواحل. ثم بعد خروج نخت نصر باربع مائة وخمس وثلاثين سنة (١٠٣) ظهر الاسكندر اليوناني وقهر الاكاسرة وتلك على بلادهم. وكانت صور عامرة فحاصرها واخذها واجرى اليها الما. وبقيت مملكة اليونان مائتين واثنين وثمانين سنة وكرسي ملكهم الاسكندرية (١٠٤) ثم خرج اغسطس الرومي وهو اول من تاقب بقيصر وقهر اليونان وتلك وبقيت السواحل بيد الروم الى مبعث النبي (صلمع)

فصل في معرفة طول بيروت وعرضها

قال بطليموس (٥) : بيروت طولها ثمان وستون درجة وخمس واربعون دقيقة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة دقيقة طالعها العواء (٦) بيت حياثها الميزان (٧) قال صاحب الريح : طولها تسع وخمسون درجة ونصف وعرضها اربع وثلاثون درجة (٨) وهي من الاقليم

(١) راجع سفر الملوك الرابع الفصل ٢٤ و ٢٥ وسفر اخبار الايام الثاني الفصل ٣٦
(٢) والصحيح ان كورش غير اردشير واسم كورش من الفارسية القديمة قيل ان سنة فيها الشمس وكورش هو الذي اصدر الامر برجوع اليهود الى اورشليم سنة ٥٣٦ ق م واما اردشير وهو المروف بارتخشستا او ارتكزريس الطويل فانه كان بعد ذلك بزمان (٤٦٥ - ٤٢٥ ق م) وهو الذي ابرز الحكم في بناء اسوار اورشليم في السنة العشرين من ملكه (نحميا ٢: ١٠)
(٣) والصواب مائتين وثمانين وعشرين سنة
(٤) لا ينبغي ان مملكة الاسكندر تقسمت بعد وفاته اقساماً منها دولة اليونان البطالسة في مصر واياها اراد المؤلف هنا. ودامت هذه الدولة منذ ملك بطليموس الاول سوتير الى انتصار اغسطس قيصر ٢٧٦ سنة (٣٠٦ - ٣٠ ق م)

(٥) قد نقل المؤلف قول بطليموس وصاحب الريح عن كتاب معجم البلدان للحموي (١٠٠: ٧٨٥)

(٦) العواء هو المترل الثالث عشر من منازل القمر

(٧) الميزان اسم احد البروج الاثني عشر

(٨) لا ينبغي ان الطول هو ابتعاد المكان عن موضع معلوم تترى به دائرة الهاجرة ابتداء. وفي تعيين هذا الرضع اختلاف كبير فالرئيسيون اتخذوا باريز والانكايذ نيرثوبش. وكان

الرابع (١) قال الملك المؤيد في تفرغيم البلدان : بيروت من الاقليم الثالث . وقول ايضاً في تفرغيم البلدان عن طول بيروت ثلاثة اوجه وعن عرضها ثلاثة اوجه وكل وجه بسند :

الوجه الاول	الوجه الثاني	الوجه الثالث
الطول نظ .. نه (٥٩ ١٥)	نظ ل (٥٩ ٣٠)	نح م (٥٨ ٤٠)
العرض لج ك (٣٣ ٢٠)	لد . (٣٤ ٥)	لج ك (٣٣ ٢٠)

(قلت) قد حررتنا عرض بيروت بألات الرصد فوجدناه ثلاث وثلاثين درجة واثنين وخمسين دقيقة . واما الطول فقد تمدد علينا ادراكه

فصل في ذكر فتوح بيروت وهو الفتوح الاول

ذكر النوري باسناده الى ابي الحسن بن الاثير في حوادث سنة ثلاث عشرة (هـ) الهجرة ٦٣٥ (مسيح) قال : لما استخلف ابو عبيدة يزيد بن ابي سفيان على دمشق سار يزيد الى صيدا وبيروت وجبل عرقة . وعلى مقدمته اخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وخلق كثيراً من اهلها وتولى فتح عرقة معاوية بنفسه في ولايته . ثم غاب على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر واول خلافة عثمان رضي الله عنها ففتحها معاوية . ثم رمها وشحنها بالمقاتلة . وقد رأيت في كتاب فتح الشام انه في سنة ست عشرة عند استيلاء المسلمين على السواحل وتقرير الجزية عليهم دخل اهل بيروت في التبرير (٢)

القدماء يبتدون بالطول من ساحل بحر ارقانوس النري . وكان بعضهم يبتدئ بي من سنت الجزائر الخالدات . ولهذا ربما وجد في الكتب انواع من الطول . وطول بيروت اذا اعتبرنا ست باريز هو ثلاث وثلاثون درجة وسبع دقائق في شرقها . واذا ارجسنا طولها الى ست غرينويش فيكون خمسا وثلاثين درجة وسما وعشرين دقيقة

اما عرض بيروت اي بعدها عن خط الاستواء نحو الشمال فثلاث وثلاثون درجة واربع وخمسون دقيقة فيكون رصد المؤلف هو الاقرب الى الصواب ما بين الاقدمين

(١) لمن المعلوم ان الاقدمين كانوا يقسمون الارض الى سبعة اقاليم موقعها ما بين خط الاستواء الى القطب الشمالي لكنهم اختلفوا على موقع ابتدائها وانتهائها . ولذا ترى ان البعض حسبوا بيروت من الاقليم الثالث والبعض من الرابع

(٢) جاء في حاشية الكتاب : الذي دخل في تقرير الجزية المذكورة من ساحل عققلان وتبارية وصود وبيروت . وذلك سنة ست عشرة للهجرة على يد الصحابة رضوان الله عليهم

ثم صار المسلمون يتكاثرون فيها والروم يقارن منها وقتاً بعد وقت حتى صار أكثر أهلها مسلمين. وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم منهم «الارزاعي» وهو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو (١) إمام أهل الشام وعالمهم قيل أنه أجاب في سبعين ألف مسألة وصار يُعقل بذهبه في الشام نحو مائتي سنة. وآخر من عمل بذهبه أحمد بن سليمان بن جندلم قاضي الشام. وعمل أهل الأندلس بذهبه أربعين سنة (٦٢) ثم تناقص بذهب الإمام مالك على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأودي. وكان الارزاعي عظيم الشأن بالشام وكان امرؤه فيهم أغز من أمر السلطان. أسند عن جماعة (٢) من التابعين وأسند عنه من العلماء جهم غنير. وقد جعلت له كتاباً يتضمن ترجمته واختصرته ذكره هاهنا. وكان مولده ببعلبك سنة ٨٨ (٧٠٧م) وقيل ٩٣ (٧١٢م) هجرة ونشأه بالبغاة ونقلته أنه إلى بيروت فربطها (٣) إلى أن مات سنة ١٠٧ (٧٢٤م) بكورة يوم الأحد لليلتين بقيتا من صفر وقيل في شهر ربيع الأول. ومنهم «محمد ولد الارزاعي» كان عابداً قانتاً وكان يُظن فيه أنه من الأبدال (٤) عاش بعد أبيه عشرين سنة. ومنهم «عبد الغفار بن عثمان» (٥) صهر الارزاعي. ومنهم «الوليد بن مزيد المذربي» البيروني كان من أهل العلم والرواية أسند عن جماعة كثيرة وأسند عنه جهم غنير. مولده سنة ست وعشرين ومائة (٧٤٤م) ومات سنة ثلاث ومائتين (٨١٦م). ومنهم ولده «أبو الفضل الباس بن الوليد البيروني» كان من خيار عباد الله ومن أهل العلم والرواية. مولده سنة ١٢٩ (٧٩٤م) ومات سنة ٢٧٠ (٨٨٤م). ومنهم «المسيح (١) البيروني». ومنهم «عبد الله بن اسمعيل بن زيد بن صخر البيروني». ومنهم «محمد بن عبد الله بن عبد السلام بن أيوب البيروني» (٦) أبو عبد الرحمن المعروف بسكحول الحافظ كان ثقة مأموراً من أهل العلم والرواية وأسند عن جهم غنير وروى عنه خلق كثير وهو الحافظ المشهور بين الناس مات سنة عشرين وقيل سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة (٩٣٢ أو ٩٣٣م) (ستأتي البقية)

(١) راجع ترجمته في تراجم الاعيان لابن خلكان الجزء الاول الصفحة ٤١٥ من طبعة مصر او ٣٨٥ من طبعة باريس. وقد نقل المؤلف منه معظم هذه الترجمة (٢) قوله «أسند عن جماعة» يريد أنه روى عنهم واخذ الحديث باسانيد (٣) اراد بالمرابطة انقطاعه الى الزهد والسبادة (٤) ارادوا بالابدال قوماً من الاولياء الصالحين قيل لهم ذلك لانهم يتناوبون فلا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم قام بده آخر (٥) وسأه ياقوت الحموي في معجم البلدان (٦) عبد الغفار بن عثمان (٧٨٦:١). وفي معجم البلدان (٧٨٦:١): سنة ١٦٩